

قصيدة الإرث

إلى كل المؤتمرات العربية والإسلامية التي عقدت. والتي لما تعقد، ...
إلى أن يأتي اليوم الذي يقوم فيه القوم.

. صالح الرحال .

هذا القرن^(١) العائرُ ما بينَ العينينِ
وعند حدود الأنفِ العليا،
يُوحى أن الإرثَ يعقوبيُّ
قتالٌ مرٌّ وعراكٌ حتى الموتِ.
ويوحى أن السلمَ السلمَ هوانٌ ذلُّه،
ما دام الذئبُ يجوسُ.
فاعلم يا هذا الصاعدُ من ذرأتِ الرملِ،
ومن أرضِ القدسِ وبغدادِ وكعبةِ مكة،
أنك مذبحٌ، مأكولٌ، هالكٌ
إن سرتَ وراءَ المخنيِّ الرأسِ، وراءَ
السيدِ والسيدِ^(٢) بعيسٍ أو ذبيانٍ وطيءٍ.
واعلم أن السيدَ والسيدَ هما هذا الليلُ
المُمتدُّ من البحرِ الغربيِّ لكابولِ،
وأنتِ الأعرلُ، ما بينَ الفكِّينِ قتيلُ.
سيقولُ البلغاءُ وأسيادُ البيتِ الأبيضِ
والفقههاءُ بقانونِ الغاباتِ هنالكِ،
والمجدورون على الكرةِ المشقوقةِ
ما بينَ السيدِ والسيدِ،
بأنك همجيُّ، إرهابيُّ، نذلٌ
يُنزِلُ

إذا أدميتَ بظفركَ ذاكَ الفكَّ العلويُّ،
حككتَ بروحكِ قاعَ الشدقِ .
أيجوزُ لك العبثُ المجانيُّ
بروحك ما بينَ الفكِّينِ؟
يجوزُ أمامَ القانونِ بأن تُزعجَ ذاكَ الشدقَ الدمويُّ،
وقد فتتَ أصلابك، أضلاعَ القصِّ، وحطمتَ روحك؟
أيجوزُ - وأنتِ العاقلِ يا هذا - أن تفتحِ
بئراً في الفكِّ العلويُّ، وتقلعِ سنناً واحدةً منه،
وكيف سيظهرُ هذا الشدقُ السَّغبانُ أمامَ المرآةِ، إذا كثرُ،
فاستوحشَ من مرآةٍ . . ؟
فأنتِ إذا إرهابيُّ مسلولٌ لا تحترمُ
القانونَ، ولا تعرفُ عقبى ما تصنعُ،
لن يأكلك الذئبُ ولن يُزعجَ فكِّه
بهذا اللحمِ المسلولِ .
سيقذفُ أشلاءك، أشلاءَ ذراريك،
على هذي الأصقاعِ،
ويتركُ عينيكِ، نخاعك، قلبك
ذاكَ الخافقِ في سلتهِ، كي يلتذُّ
بهذي الأعضاءِ الرجراجةِ، ثم يقولُ:

١ - القرن: هنا يحتمل أكثر من معنى، منها: مائة العام التي مضت، أو التي ستأتي بكل ما فيها وما رلنا في البدايات. أو أن القرن هو قرن ثور مثلاً؟
٢ - السيد: الذئب.

وقالوا: إنِّي هرطيقٌ، إرهابيٌّ، دمه مهذورٌ مطلولٌ.
أخذوا سلّة فرحي، أخذوا قبةً قدسي،
أخذوا الأرضَ على طولِ المتوسّطِ،
حتى وصلوا البيتَ الأبيضَ، وصلوا،
وافتتحوا في مركزه سوقاً للحمّ البشريّ هناك.
وقالوا في جُملةٍ ما قالوه:
بأنّ الأرضَ فراغٌ، وهمُ الملءُ الأقدسُ للأرضِ،
همُ طوفانٌ يقلعُ ذاكَ العفنَ الأرضيّ، ويبنّي
بيتاً في الريح، مكاناً للذبحِ القدسيّ ومعبدٌ.
ومضوا في طرقاتِ الأرضِ،
اثنا عشر من أسباطك يلتهمونَ الغلواتِ،
واثنا عشر من أسيادي، وهمُ الأمراءُ،
الرؤساءُ، مخاتيرُ الليلِ، ملوكٌ،
وجهاءُ، وسيوفٌ.
وأنا الواحدُ والجمعُ المتفرّقُ،
قيدني ذاكَ السيّدُ، ورماني للسيّدِ
وللسبّطِ، وقد غَضَّ الطرفَ قليلاً،
وأدارَ الظهرَ، لتخفّي أشلاتي، مِرقي، كي يرتاح،
فلا يشعرَ بالذنبِ، ولا يشعرُ بالتقصيرِ.

ها قد مرّقتُ الإرهابَ، مرّقتُ الأعضاء،
مرّقتُ المحروبَ المسعورَ،
فاذهبْ في ذاكَ النفقِ الخارجِ من هذا التاريخِ،
اذهبْ في إرثك والدينِ الإرهابيّ
ليبقى يعقوبُ. (١)
يا يعقوبُ الحجلُ البريُّ، يا يعقوبُ الأسباطُ،
ويا يعقوبُ القتلُ الحاضرُ، يا يعقوبُ.
أوتدكرُ يومَ طواك القهرُ بيوسُفَ؟
زعموا أنّ الذئبَ الملعونَ تصيّدُه،
«والذئبُ الملعونُ» رماه ببئرٍ مفتوحٍ حتى الروحُ،
وجاء إليك كسيراً وحزيناً،
ليقولَ ويحلفُ أنّ ظهيرةَ ذاكَ اليومَ تشهّي
لحمًا بشرياً، وتشهّي يوسُفَ، حتى كاد
يموتُ من الشهوةِ يا يعقوبُ.
أولئك أبناؤك من قتلوا يوسُفَ،
يوسُفُ ذاكَ الابنُ ليعقوبَ أخوهم،
وأنا لستُ أخاهم،
لستُ ابناً لأبيهم، يا يعقوبُ.
وقد مرّقوا روحي، ورموني مرّاتٍ في البئرِ المهجورِ،

١ - يعقوب: هو ذكر الحجل البري، وهو النبي يعقوب: إسرائيل.

اللَّهُ... اللَّهُ

ملوك، رؤساء، خمسون وسبع،^(١)

نصف الأرض غشوها أبناء... .

واجتمعوا في أقصى الشرق هناك،

يصوغون بياناً وخطاباً، قنبلة موقوته .

قالوا: الإرهاب حرام.

قالوا: بغداد حلال للمحتل، فإن المحتل

سيلبسها ثوب العرس،

ويلبسها ثوباً للشهوات،

وبغداد فتاة بملاها الشبق الصحراوي،

ودجلة لا يروي غلمتها،

فهي حلال للأوباش، حلال للتجار، حلال

للمحتل القادم من غرب البحر إليها، وحلال .

وقالوا: إن القدس بما هي قدس الأقداس،

وإن الإرث اليعقوبي قديم.

وهنا غص الخلق الشيطاني، أراد الشرب،

أراد الماء، لكي يكمل هذا المزمر

الذلل، ويخلص من هذا الرد، وذلك الدفع

وتهمته بالإرهاب .

وهنا يا الله .. هنا يا الله ..

وقد ظهر الواحد والجمع، وهذا القوس

الأبيض، والعدم الخالص، واللاشيء،

وهذا الموت النازل حتى الموت، وهذا الحوت .

وياكلني حتى أفنى، يمضغني حتى الموت .

وأنا... أنت... .

وأنت كبير متعال عال، لا يصل الصوت،

ولا يصل السهم، ولا يصل الصاروخ العابر والموت .

فاهبط يا ربي سلم هذا الخلق المحرور، وهذا

العبث الإعلامي، وهذا الختل الدهري .

والأ... فاعلم أنني المزروع قنابل،

والمزروع شواظ، وأني المقتول،

فهل بعد القتل عقاب؟

وهل يؤلني أنني إرهابي وخرجت على قانون

الغابات بموتي؟

لا... فاعلم يا إرث اليعقوب

ويا بيتاً أسود في غرب البحر،

سأبقى في هذي الأرض دليلاً للأرض،

دليلاً للبحر، خطاباً للرب،

١ - عدد الدول الإسلامية، والتي شاركت في مؤتمر القمة الإسلامي المعقد في ماليزيا أواسط تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣ .

وأَمْشِي فِي طُوفَانِ الْحَقِّ،
و طُوفَانِ الْإِنْسَانِ،
و طُوفَانِ اللَّهِ سَلَامًا .
فَسَلَامٌ لِلْأَرْضِ بِلَا ذَنْبٍ،
وَسَلَامٌ لِلْأَرْضِ بِلَا قَهْرٍ،
وَسَلَامٌ لِلْأَرْضِ بِلَا خَوْفٍ،
وَسَلَامٌ لِلْيَاقُوتِ وَلِلْمَاءِ الْفِضَّةِ وَالْحَجَلِ الْبَرِيِّ،
وَلِلْعَصْفُورِ الطَّالِعِ مِنْ شُرَفَاتِ الصَّبْحِ إِلَى رُوحِ النَّبْعِ
سَلَامٌ
وَسَلَامٌ لِلْبَانِينِ وَاللِّزْرَاعِ، وَلِلْحَوْقَةِ تُنْشِدُ
أَشْعَارَ الْجَوَالِينِ، التَّفَّ النَّاسُ،
جَمِيعُ النَّاسِ عَلَيْهَا، وَهُمْ مِنْ رُوحِ الْأَرْضِ،
وَرُوحُ الْحُبِّ وَرُوحُ اللَّهِ رَبِيعٌ .
وَسَلَامٌ فِي رُوحِ الْخَلْقِ الْقَادِمِ
يَأْخُذُهَا كَالْعَصْفُورِ إِلَى بَابِ اللَّهِ
لَتَعْرِفَ هَذَا اللَّحْنَ الْكُونِيَّ،
سَلَامٌ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ .

بَأَنِّي قَدْ قَاوَمْتُ الْكُفْرَ، وَقَاوَمْتُ الرَّدَّةَ،
قَاوَمْتُ الْأَسْيَادَ وَقَاوَمْتُ السَّيِّدَ،
وَقَاوَمْتُ الذُّلَّ وَقَاوَمْتُ اللَّيْلَ وَقَاوَمْتُ الْمَوْتَ .
وَأَنِّي الْمَنْصُورُ الْمَنْصُورُ،
الْمَنْصُورُ بِصَبْرِي، وَالْمَنْصُورُ بِرُوحِي،
حَتَّى لَا يَبْقَى عَسَقٌ دَاخِرٌ يَمْلَأُ هَذِي الْأَرْضَ بَغَاءً وَحِرَابًا،
وَحَتَّى تَسْطَعُ شَمْسٌ، نُورٌ يَمْلَأُ هَذِي الْأَرْضَ،
فَيَقُومُ الْمَيِّتُ مِنَ الْقَبْرِ يُغَنِّي فَرْحَانَ،
وَيَمْشِي تَحْتَ الشَّمْسِ بِهَاءً . . .
وَيَقُومُ النَّخْلُ تَدَثَّرَ بِالْيَاقُوتِ وَأَعْدَاقِ التَّمْرِ،
وَيَرْقُصُ دَجَلَةٌ مَمْلُوءَةٌ شَبَقًا كُونِيًّا، وَيَقُومُ .
وَأَقُومُ أَنَا، وَيَقُومُ الْجَمْعُ الْمَهْزُومُ الْمَنْصُورُ
الْوَاقِفُ مِنْ زَمَنِ التَّنِينِ يُرَاقِبُ هَذَا
الْعَهْرَ الْكُونِيَّ، وَيَمْلَأُ رُوحَهُ .
وَتَقُومُ الْأَرْضُ السَّيْفُ الْمَطْرُ الشَّمْسُ الزَّرْعُ،
وَهَذَا الْوَجْدُ بِرُوحِي .
وَيَسُحُّ الْمَطْرُ الْهَطْلُ الْهَتْنُ،